الوراقة والورّاقون

في الاسلام

من مجلة المشرق ١٩٤٧

بقلم

حبيب زيات



المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٤٧

الوراقة والورّاقون

في الاسلام

بقلم حبيب زيات

عرّف ابن خلدون الوراقة بقوله : « انها معاناة الكتب بالانتساخ والتجليد » وعرّف الورّاقين انهم « الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها »[1] وقال السمعاني : « الورّاق اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الورّاق ايضاً »[2] وقد بحثنا كثيراً لنقف على اسماء الكتب المؤلفة في الوراقة ، فلم نظفر الا بكتاب واحد للشيخ عبد الرحمن

---

١) المقدمة ٣٣٤-٣٣٥

٢) الانساب للسمعاني

ابن احمد بن مسك السخاوي المتوفى سنة ١٠٢٥ / ١٦١٦ دعاه «تنويق النطاقة في علم الوراقة» وهو كتاب لم يبقَ لنا منه الا عنوانه وتذكاره.

وللجاحظ رسالة في مدح الورّاق واخرى في ذم الورّاقين[1] ، كعادته في وصف الاضداد والمراوحة بين الذمّ والمدح تفنناً في الكلام او تماجناً وتطرّباً ، كما وصفه المسعودي[2] . وقد فاتنا بضياع هاتين الرسالتين طرائف وفوائد جمة في نعت الوراقة والوراقين في زمانه لا نجد عنها غناء في كلام غيره من الواصفين والمصنفين . وكان يقضي كثيرًا من اوقاته في سوق الورّاقين للنظر والمطالعة . وقد سبقه الى مدح الوراقة ابو زيد البلخي وله فيها رسالة اشار اليها ابن النديم[3] ، وكتاب كتبه الى ابي بكر بن المستنير عاتباً ومنصفاً في ذمه المعلمين والورّاقين[4] .

وفي تاريخ بغداد للخطيب اشارات الى صناعة التوريق يُدرك منها كيف كانت تمارس ويرتزق بها . « حدّث ابو القاسم بن بنت منيع قال : كنت اورّق فسألت جدي احمد بن منيع ان يمضي معي الى سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي يسأله ان يعطيني الجزء الاول من المغازي عن ابيه عن ابن اسحق حتى اورّقه عليه فجاء معي وسأله فاعطاني الجزء الاول فاخذته وطفت به فاول ما بدأت بابي عبدالله بن مغلس وأريته الكتاب واعلمته اني اريد ان اقرأ المغازي على سعيد الاموي فدفع اليّ عشرين دينارًا وقال اكتب لي منه نسخة . ثم طفت به بقية يومي فلم ازل آخذ من عشرين دينارًا الى عشرة دنانير فاكثر واقل الى ان حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نسخاً لاصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي[5] وكانت وفاة ابن بنت منيع سنة ٣١٧ / ٩٢٩ .

ومما يدل على رغبة القوم في الاصول الصحيحة وما عليها من السماعات انه

١) ارشاد الاريب ٦ : ٧٨
٢) مروج الذهب ٨ : ١٨ بهامش الكامل
٣) الفهرست ، طبعة مصر ، ١٩٩
٤) ارشاد الاريب ٦ : ٧٥
٥) تاريخ بغداد ١٠ : ١١٣–١١٤

كان عند احمد بن عبد الجبار العطاردي المتوفى سنة ٢٧٢ / ٨٨٥ نسخة من كتاب المغازي ليونس بن بكير «وكان احمد يلعب بالحمام الهدي فسئل ان يقرأ عليه فقال : انا منذ سمعناه ما نظرت فيه ولكن هو في قاطر فيها كتب فاطلبوه قال : فقمت وطلبته فوجدته وعليه زرق الحمام واذا سماعه مع ابيه بالخط العتيق فسألته ان يدفعه اليّ ويجعل وراقته لي ففعل » .[1]

وربما افاد قوم بالتوريق ثروة طائلة : « حدّث عيسى بن احمد الهمذاني قال: قال لي ابو علي بن شهاب (العكبري) يوماً : أرني خطك فقد ذُكر لي انك سريع الكتابة فنظر فيه فلم يُرضِهِ ثم قال لي : كسبت في الوراقة خمسة وعشرين الف درهم راضيةً وكنت اشتري كاغدًا بخمسة دراهم فاكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليالٍ وابيّضه بمائتي درهم واقله بمائة وخمسين درهماً وكذلك كتب الادب كانت مطلوبة قال الازهري : اخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره الف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار[2] وكانت وفاة ابن شهاب في رجب سنة ٤٢٨ / ١٠٣٧ .

ومن الورّاقين القضاة الذين تحسّروا على ما فاتهم من ارباح الوراقة ، وتبرّموا بالقضاء ، ابو عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي الفقيه الشافعي قاضي مصر من اهل المئة الرابعة . قال الذهبي في تاريخ الاسلام (ص ١١٨) قال الفقيه ابو بكر بن الحداد : سمعت ابا عبيد القاضي يقول : ما لي والقضاء لو اقتصرت على الوراقة ما كان حظي بالردي وكان رزقه في الشهر مئة وعشرين دينارًا[3] .

ومع كل هذا الربح والانتفاع غلب على الشرق والغرب الاسلاميين التأفف والشكوى من الوراقة قالوا : « لكساد سوقها وخلوّ طريقها . » ولاحد شعراء ادب الكتّاب للصولي

ادمى البكا جفنيَّ والمآقي   وكلّفتُ ذا همّ وذا احتراقِ
ما ان ارى في الارض والآفاق   ادنى ولا اشقى من الورّاقِ

١) تاريخ بغداد ٤ : ٢٦٤-٢٦٥
٢) تاريخ بغداد ٧ : ٢٢٩-٢٣٠ ؛ والمنتظم لابن الجوزي ٨ : ٩٣
٣) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٤٤٩

اذا اتى في القُمُص الاخلاق رأيته مُطَنِّزة المشاق
يفرح بالاقلام والاوراق كفرحة الجندي بالارزاق(١

وفي هذا المعنى لابي حاتم الورّاق من كَشْمَر احدى قرى نيسابور :

ان الوراقة حرفةٌ مذمومةٌ محرومةٌ عيشي بها زَمِنٌ
ان عشتُ، عشتُ وليس لي أكل او متُّ ، متُّ وليس لي كفنُ(٢

وردّد مثل هذا الصدى عبدالله بن صارة الشنتريني من شعراء الاندلس ، فقال في التبرّم من الوراقة ، على بصره الثاقب بها :

اما الوراقة فهي انكد حرفة اوراقها وثمارها الحرمانُ
شبهت صاحبها بصاحب ابرةٍ تكسو العراة وجسمها عريانُ(٣

وقال احمد بن عبدالله بن حبيب المعروف بابي هفّان : سألت وراقاً عن حاله فقال: عيشي اضيق من محبرة ، وجسمي ارق من مسطرة ، وجاهي ، اوهى من الزجاج ، وحظي اشد سوادًا من العفص اذا خلط بالزاج . . .

ان الوراقـة والتفقّه والتشـاغل بالعـلوم
اصل المذلّة والاضـاقة والمهانـة والهموم

ولآخر :

هربت من الوراقة ملأ شوطي فردّني الزمـان الى الوراقـه
وترك المرء حرفتـه فرارًا لامر ليس يدريه حمـاقه(٤

ودعا ابو حيان التوحيدي الوراقة « حرفة الشوم » ووصف حالته ، فقال : « لقد استولى عليّ الُحرف وتمكن مني نكد الزمان الى الحد الذي لا استرزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وترويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق به البليد الـذي يمسخ النسخ ويفسخ الاصل والفرع وقصدت ابن عباد بامل فسيح وصدر رحيب فقدم لي رسائله في ثلاثين مجلدة على ان انسخها له فقلت ان نسخ مثلها يأتي على العمر والبصر . . . ثم اني قلت لبعض

١) ادب الكتاب ٩٥
٢) معجم البلدان ٤ : ٢٧٨
٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ١ : ٣٣١ ؛ وقلائد العقيان ٢٦٠
٤) غرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة للوطواط ١٥٩—١٦٠

الناس في الدار مسترسلاً : انما توجهت من العراق الى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لاتخلص من حرفة الشوم » . وقال في كتاب اخلاق الوزيرين من تصنيفه : « طلع ابن عباد عليّ يوماً وانا قاعد في كسر ايوان اكتب شيئاً قد كان كادني به فلما ابصرته قمت فصاح بحلق مشقوق : اقعد فالورّاقون اخسّ من ان يقوموا لنا ». [1]

وحقّ لابي حيان ، على ما اشتهر به من سعة العلم وبلوغه الغاية من الفصاحة والبلاغة ، مع ما طبع عليه من الولع بالنقد واللذع ، ان يضجّ من نكد الوراقة اذا كانت قاصرة على رزق الكتبة من شق تلك القصبة ، كما قيل في ذم حرفة الادب .

وقد دعا بعض المحدثين طلب الحديث « صنعة المفاليس » في جوابه للمهدي[2] . وكذلك كانت صناعة الوراقة واليها كان يلجأ كل محروم طالب للقوت من النساخ وكل مبذّر مقامر نظير محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركان شاه ابي نصر البغدادي المولد السمرقندي الاصل النحوي اللغوي الاديب « خلّف له والده اموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة فكان يورّق بخطه المليح الصحيح » . [3]

وممن دفعته الحاجة الى الارتزاق من الوراقة السريّ الرفاء الشاعر المشهور « عدم القوت فضلاً من غيره فجلس يورق شعره ويبيعه ثم نسخ لغيره بالاجرة وركبه الدين ومات ببغداد على تلك الحال بعيد سنة ٣٦٠ »[4] . ومن النسّاخ ايضاً المعدمين شيخ الاسكندرية تاج الدين علي بن احمد بن عبدالمحسن الحسيني الغراف » كان يرتزق بالوراقة فاذا حصل قوته لا يتجاوزه . »[5] وكمال الدين ابو علي الحسن المعروف بالقمحدوة القرشي الكوفي الناسخ كتب الكثير

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٣٩٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤

٢) حدث غياث بن ابرهيم قال : قال لي المهدي : ما صنعتك ، قلت : صنعة المفاليس قال : وما صنعة المفاليس ؟ قلت طلب الحديث (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٢٤)

٣) بغية الوعاة للسيوطي ، طبعة سنة ١٣٢٦ ، ص ٤٧

٤) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤

٥) شذرات الذهب ٦ : ١١

لنفسه وتوريقاً للناس وقتل سنة ٦٨٩ / ١٢٩٠ . ونظيره محمد بن علي ابو الغنائم النرسي ويعرف بابي الكوفي كان يورق للناس بالاجرة[١] ، ومات سنة ١١١٦/٥١٠ .

واول ما بدأت الوراقة ببيع الاوراق والاقلام وانواع الحبر والمداد وخصوصاً بنسخ المصاحف ثم تناولت كتب الحديث وسائر العلوم الدينية والادبية وللصفدي في مليح وراق :

أحبّ وراقاً رآه عاذلي فقال هذا فتنة العشاقِ
ولم يحاول في الغرام شططاً من طلب الوصل من الورّاقِ[٢]

ونظيره قول يوسف بن لولو بدر الدين الدمشقي :

خليليّ جدّ الوجد واتصل الاسى وضاقت على المشتاق في قصده السبلُ
وقد اصبح القلب المعنّى كما ترى معنًى بوراق وما عنده وصلُ[٣]

يريد بالوصل الدرج من الكاغد المعروف ايضاً بالفرخة ، ولا يخفى ما في هذه التورية من الحسن

واقدم الورّاقين في ما يظهر مالك بن دينار مولى أسامة بن لُؤَي بن غالب كان يكتب المصاحف باجرة[٤] ، ومات سنة ١٣١ / ٧٤٨ .

وقد خفيت علينا اخبار الوراقة والورّاقين في ايام بني امية ، في جملة ما غاب عنا من اوصاف حضارة ذلك العصر ، الذي غلب عليه في اول عهده . تقليد الاوضاع والسنن الرومية وضاعت كل آثاره وذخائره ، ولم يسلم لنا من كل ما أُلف وقيل فيه الا برض من عدّ من الشعر الذي كان يومئذٍ بمثابة الجرائد اليوم ، تتمثل فيه اهم الاخبار والحوادث الادبية والسياسية والمعاشية . وغاية ما نعلمه ان ورّاقي الشعراء فيه كانوا الرواة الذين تخصصوا بحفظ قصائدهم وصحبوهم لانشادها احياناً بدلًا منهم في المجالس والمحافل فكانوا كالنسّاخ والنقلة لهم ، حتى اذا صارت الخلافة للعباسيين ، وكثر المصنفون والعلماء

١) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ، طبعة الهند ، ١٥٤
٢) تذكرة الصفدي ، دار الكتب المصرية ، (رقم ٤٣٠ ادب) ص ٥
٣) المنهل الصافي ، نسخة مصورة في الجامعة العربية في القدس ، ٨ : ٤٦٤
٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته ٢١٦

والشعراء من الموالي والاعاجم خصوصاً واصبح منال الصحف يسيرًا بعد شيوع صناعة الورق السمرقندي، وانتقالها الى بغداد وما عقبها من انحطاط اثمان القراطيس من البردي، اتسعت الوراقة بما جدّ لديها من المواد والمؤن، وعمّ النسخ والنقل وجلس بعض العلماء والمؤلفين للاملاء على الوراقين ولذلك دعيت طائفة من هذه المؤلفات باسم «الامالي»

الامالي

الاملاء «هو ان يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً.»[1] واشتهر من هذه المصنفات أمالي ابن دريد، وامالي ثعلب، وامالي الزجاج، وامالي الانباري، وأمالي القالي، وامالي ابي العلاء المعري في مئة كرّاسة ولم يتمها[2]، وأمالي جحظة، وقد فاتنا بضياعها اشهى اخبار الحضارة العباسية واطيب ملحها وطرائفها لحسن وصف جحظة كل ما مرّ به وشهده من مجالس الغناء والطرب وفكاهات المنادمة، كما يدلّ على ذلك ما رواه عنه ابو الفرج في كتاب الاغاني. وقد اشتهر برقة الوصف والتلطف في الغوص على غرائب المعاني حتى قيل فيه:

ورقّ الجوّ حتى قيل هذا عتابٌ بين جحظة والزمان.

واحوج من كان من المؤلفين للاملاء العلماء العميان، وربما استوعب الاملاء عدة مجالس في عدة سنين. ولابي بكر بن الانباري كتاب المشكل في معاني القرآن املاه سنين كثيرة ولم يتمه[3]. واملى ايضاً اكثر مصنفاته وله غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة من حفظه[4]. ولابي السعادات ابن الشجري كتاب الامالي، وهو اكبر تصانيفه وامتعها املاه في اربعة وثمانين

1) كشف الظنون، طبعة الاستانة، ١ : ١٤٧

2) 〃 〃 〃 〃 ١ : ١٤٨

3) ارشاد الاريب ٧ : ٧٦

4) 〃 〃 ٧ : ٢٥ و٧٤

مجلساً[1] . وربما اختلف لفظ الاملاء بالارتجال ، اذا تكرر القاؤه ، فتختلف لذلك نسخ الكتاب ، مثل كتاب الجمهرة لابن دريد قالوا املاه بفارس واملاه ببغداد من حفظه فزاد ونقص[2] . ولما قعد الفرّاء للاملاء ازدحم الناس على مجالسه وغصت بالقضاة والعلماء . روى ابن خلكان في وصفها عن الخطيب البغدادي فصلاً ممتعاً يُطلّع منه على ما كان يجري وقتئذٍ بين المؤلفين والوراقين وكيف كان الوراقون يختزنون احياناً المؤلفات ويحتكرونها حباً بالربح قال :

« ان الفرّاء لما اتصل بالمأمون امره ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العربية وامر ان يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شيء حتى انهم كانوا يؤذّنونه باوقات الصلاة وصيّر اليه الورّاقين والزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف « الحدود » في سنتين وامر المأمون بكتبه بالخزائن . فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب « المعاني » قال الراوي : واردنا ان نعدّ الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً . فلم يزل عليه حتى اتمه . ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه الا لمن اراد ان ننسخه له على خمس اوراق بدرهم فشكا الناس الى الفرّاء فدعا الوراقين وقال لهم في ذلك فقالوا انما صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه حاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال: قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه فقال : سأريكم وقال للناس : اني مُملٍ كتاب معان اتم شرحاً وابسط قولاً من الذي امليت وجلس يملي فاملى «الحمد» في مئة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن نبلّغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر اوراق بدرهم » . (وفيات الاعيان ٢ : ٣٠١–٣٠٢)

ومن هذا الخبر الطريف يستدل على ان الوراقة في عهد العباسيين كانت تشبه الوراقة الآن وان اسواق الكتب كاسواق اليوم خلا ان النسخ كان يقوم مقام الطباعة ، واطماع التجارة في كل حال واحدة في كل عصر ومصر .

١) ارشاد الاريب ٧ : ٢٤٧ – ٢٤٨

٢) الفهرست ٩١

مجالس الاملاء والمستملون

كان الاملاء في اول امره لا يتجاوز منزل المحدّث او المؤلف، ثم ازدادت الرغبة في السماع والكتابة فضاقت المنازل عن استيعاب الجموع فانتشروا حولها في ما جاور من الازقة والاحياء « وكان ابن الجعابي يملي بمجلسه فتمتلي السكة التي يملي فيها والطريق»[1] وغصت الدور والافنية ايضاً بالمستمعين، فانتقلت مجالس الاملاء الى الشوارع والرحاب : « ولما ورد جعفر الفريابي الى بغداد استُقبل بالطيارات والزبازب ووعد الناس الى شارع المنار ليسمعوا منه فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين الفاً »[2] وكانت وفاته سنة ٣٠١ / ٩١٣

واكثر ما كانت هذه المجالس الجامعة لاملاء الحديث وربما بلغ عدد الحضور نيفاً ومئة الف كما سيجيء فكان لا بد لاسماع هذا الحشد العظيم من منادين يتلقفون الفاظ المحدّث وينقلونها الى الملإ كالصدى ويقال لهم « المستملون » . ويختلف عددهم بحسب ازدياد المستمعين وانتشار الحلقات وبعد المسافات وكان للقاضي المحاملي « اربعة مستملين قال يوسف بن عمر القواس : حضرت مجلسه وكان له اربعة مستملين يستملون عليه وكنت لا اكتب في مجالس الاملاء الا ما اسمعه من لفظ المحدّث فقمت قائماً لاني كنت بعيداً عن المحاملي بحيث لا اسمع لفظه فلما رآني الناس افرجوا لي واجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير[3] .

وفي سنة ٢٩٢/٩٠٥ مات ابرهيم بن عبدالله بن المهاجر، ابو مسلم البصري المعروف بالكجيّ وهو الذي مدحه البحتري بقولهِ :

هل تبدينّ لي الايام عارفة   لدى ابي مسلم الكجيّ او اسد

قال ابو بكر احمد بن جعفر بن مسلّم : « لما قدم علينا ابو مسلم الكجي املى الحديث في رحبة عنان وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل

١) تاريخ بغداد ٣ : ٣٨

٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٣٤

٣) تاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٦

واحد منهم صاحبه الذي يليه وكتب الناس عنه قياماً بايديهم المحابر ثم مُسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفاً واربعين الف محبرة سوى النظارة[١] وقد بالغوا احياناً في عدّ المستملين حتى زعموا انهم كانوا في مجلس الفريابي ثلثمائة وستة عشر[٢] والمستمعون لهم ثلاثين الفاً فقط.

وممن حُزر مجلسه باكثر من مئة الف انسان ابو الحسن عاصم بن علي الواسطي، حدّث في بغداد ، في مسجد الرصافة، كان يستملي عليه هرون الديك وهرون مكحلة . . . «قال عمرو بن حفص: وجّه المعتصم من يحزر مجلس عاصم بن علي في رحبة النخل التي في جامع الرصافة وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات (المسقفات؟) وينتشر الناس في الرحبة وما يليها فيعظم الجمع جداً حتى سمعته يقول: «حدثنا الليث بن سعد» ويُستعاد فاعاد اربع عشرة مرة والناس لا يسمعون وكان هرون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها فبلغ المعتصم كثرة الجمع فامر بحزرهم فوجّه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومئة الف»[٣]

وربما حضر الخليفة نفسه احد هذه المجالس وراء ستر . وكان اسليمان بن حرب الواشجي البصري مجلس عند قصر المأمون «فبني له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد وعليهم السواد والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشفّ وهو خلفه يكتب ما يُملي فسئل اول شيء «حديث حوشب بن عقل» فلعله قد قال: «حدثنا حوشب بن عقل» اكثر من عشر مرات وهم يقولون: لا نسمع حتى قالوا: ليس الرأي الا ان يحضر هرون المستملي فذهب جماعة فاحضروه» وكان صوته كالرعد فسكت المستملون كلهم واستملى هرون[٤].

وهرون هذا هو في الارجح هرون بن سفيان بن راشد ابو سفيان المستملي المعروف بمكحلة[٥] ، وقد تقدم ذكره.

١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢١ — ١٢٢؛
٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٣٤
٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٤٨
٤) « « ٩ : ٣٣
٥) « « ١٤ : ٢٤

وكان المستملون يقومون ايضاً بين ايدي القضاة في الجامع اذا احتاجوا الى المناداة بذنوب المتهمين في دينهم واستتابتهم . قال محمد بن عبد الرحمن الصيرفي « شهدت مسجد الجامع بالرصافة وقد اجتمع الناس وجلس قتيبة بن زياد للناس وأقيم بشر على صندوق من صناديق المصاحف عند باب الخدم وقام المستمليان ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس مستملي ابن عيينة وهرون بن موسى مستملي يزيد بن هرون يذكران ان امير المؤمنين ابرهيم بن المهدي ، امر قاضيه قتيبة بن زياد ان يستتيب بشر بن غياث المريسي من اشياء عدّدها فيها ذكر القرآن وغيره وانه تائب » .[1]

وكان في الاندلس امثال هذه المجالس الشرقية للاملاء. قال ابن بسام الشنتريني « اهل هذا الافق (الاندلس) ابوا الا متابعة اهل الشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب او طن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً[2] : ومن مقلديهم الفقيه ابو مروان عبد الملك الطبني رحل الى المشرق «ولما رجع الى قرطبة وجلس ليروي ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وماله عندهم من الاثرة قال :

اني اذا حضرتني الف محبرة   يكتبن حدثني طورًا واخبرني
نادت بعقوتي الاقلام معلنة   هذي المفاخر لا قعبان من لبن[3]

وقد تقدم من خبر الفراء ان الاملاء لم يكن مقتصرًا على الحديث ، بل يتناول اصناف العلوم الدينية واللسانية . وقد حفظ لنا اسم مستملي يعقوب بن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وهو عبدالله بن محمد بن رستم ابو محمد اللغوي[4] .

---

١) تاريخ بغداد ١٤ : ٣٦٤
٢) الذخيرة في محاسن ، اهل الجزيرة ١ : ٢
٣) مطمح الانفس لابن خاقان ٥٠
٤) انباه الرواة للقفطي ، دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) المجلد ٤ ، الجزء ٤ ، ص ٣٩٤

اجرة النسخ

كانت اجرة النسخ تغلو وترخص وتختلف باختلاف الاقلام وحسنها وصحة النقل والضبط، وتزيد او تنقص بنسبة تغير قيم النقود وصرف الدنانير بالدراهم وربما غلت ايضاً بحسب سرعة النسخ او بطئه . ولما اراد الشافعي تحصيل كتب محمد بن الحسن باسرع وجه قال : جئت الى منزلي ووجهت الى كاتبه بمئة دينار وقلت اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي فكتبت لي ووجه بها الي"[1] . وربما اضطر الوراقون الى المبيت في منازل المؤلفين لتعجيل النسخ . ونُقل عن يعقوب بن شيبة السدوسي انه صنف مسندًا وكان في منزله اربعون لحافاً لمن يبيت عنده من الوراقين لتبييض المسند ونقله ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار[2] . فكم كانت اوراق هذا المسند ؟ وكم كانت اجرة النسخ وقتئذٍ حتى اقتضت مثل هذا المبلغ الطائل ؟

ومرَّ بنا آنفاً في خبر الفراء ان اجرة خمس ورقات درهماً واحدًا كانت تعدُّ غالية في عهد المأمون . ولذلك اضطر الوراقون الى اضعاف الاوراق فنسخوا العشرة منها بدرهم واحد . وفي اواخر القرن الرابع للهجرة كان القاضي ابو سعيد السيرافي النحوي « لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته ثم يخرج الى مجلسه[3] وكانت وفاته سنة ٣٦٨/٩٧٨ اي بعد موت الفراء بمئة واحدى وستين سنة ، ولم يكن الدينار في ايامه قد انحطت قيمته حتى بلغ صرفه دراهم اضعاف ما كان في ايام الفراء . ولا ريب انه كان يشتط في اجرة نسخه لمعرفته رغبة الناس في خطه وضبطه . وقد اتهمه بعض جلة الوراقين ببغداد بحبه الربح من غير وجهه اي بطريق الغش ، وزعموا انه كان « اذا اراد بيع كتاب استكتبه بعض تلامذته حرصاً على الطمع منه . . .

---

١) ارشاد الاريب ٦ : ٣٧٣
٢) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١
٣) ارشاد الاريب ٣ : ٨٥

وكتب في آخره وان لم ينظر في حرف منه : « قال الحسن بن عبدالله : قد قرئ هذا الكتاب وصح » ليشترى باكثر من ثمن مثله»[١]. واذا كان هذا الذي قُرف به حقًّا، كان ابو الفرج الاصبهاني في سعة من العذر حين قال في هجائه :

لعن الله كل علم ونحو وعروض يجيء من سيراف[٢]

وفي النصف الثاني من القرن الثالث كانت اجرة النسخ قد بلغت ضعف ما كانت في ايام الفراء . قال ابو عبيد الله اليزيدي : كان ابو العباس الاحول (محمد بن الحسن بن دينار) يكتب لي مئة ورقة بعشرين درهماً[٢]. ثم ارتفعت في اواخر القرن التالي الى دينارين اي نحو ثلاثين درهماً . ومن الوراقين المشهورين وقتئذ الكاتب ابو محمد عبيدالله بن ابي الجوع، اثنى عليه ابن خلكان وقال : « كان شاعرًا حلوًا مقبولًا ونسخه في غاية الجودة وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه مرغوب فيه »[٣] . ولم يمرّ بنا في ما وقفنا لمطالعته اقل اشارة الى اجور النسخ في العصور الاخيرة حتى سقوط الخلافة العباسية في القاهرة .

ومن الوراقين الذين كانوا يعيشون خصوصاً من النسخ وكسب ايديهم علي بن عبدالله ابو القاسم العلوي المعروف بابن الشبيه[٤]، ومحمد بن عبدالله الكرماني اللغوي كان يورّق بالاجرة ويرغب الناس في خطه[٥]، ومحمد بن احمد ابن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة الحافظ العام قال : كنت اورّق للناس وانفق على الاهل[٦]، ومحمد بن سليمان البغدادي النحوي اللغوي خلف له والده اموالًا كثيرة فضيّعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة، فكان يورق بالاجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر فكتب كثيرًا من الكتب[٧].

١) ارشاد الاريب ٣ : ١٠٥
٢) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٢
٣) وفيات الاعيان، طبعة باريس، ٧٣٦
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٣٣٠
٥) الفهرست ١١٨
٦) ارشاد الاريب ٦ : ٣٣٦
٧) « « ٧ : ١٤٠

حسن الخط والضبط

كان لا بد لكل وراق لادراك النجاح في حرفته من جودة الخط والضبط في النقل والحذق والتزويق والتذهيب في كتابة المصاحف . واشتهر كثير من الوراقين بهذه الاوصاف كابي موسى الحامض كان معروفاً « بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط »[١] ، ومحمد بن عبدالله الكرماني كان « مضطلعاً بعلم اللغة والنحو مليح الخط صحيح النقل »[٢] ، واحمد بن محمد القرشي شهد ابن عساكر انه « صاحب الخط الحسن المشهور »[٣] ، وابي محمد عبيدالله بن ابي الجوع الذي اثنى عليه ابن خلكان آنفاً وقال ان نسخه كان في غاية الجودة وخطه مرغوب فيه ؛ وكالسراج الوراق الطائر الصيت فان خطه « كان في غاية الحسن والقوة والاصالة »[٤] ؛ وعلي بن احمد بن ابي دجانة المصري ابي الحسن « كان جيد الخط كثير الضبط الا انه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وان قل وهو من اهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير »[٥] ؛ والحسن بن الحسين العبسي يعرف بابن كوجك وخطه مرغوب فيه يشبه خط الطبري »[٦] .

ومن الورّاقين الوافدين على الاندلس ظفر البغدادي سكن قرطبة ، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما[٧] ، واشتهر بالخط المليح الرائق والضبط المتقن الفائق احمد بن محمد بن الحسن الخلال الاديب[٨] .

١) الفهرست ١١٧
٢) « ١١٨
٣) ارشاد الاريب ٢ : ٧٨
٤) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٣٥
٥) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٦) « « ٦ : ٣٤٩
٧) نفح الطيب للمقري ٢ : ١٠٣
٨) ارشاد الاريب ٢ : ٨٨

ولبغداد شهرة بخطّاطيها وورّاقيها . ولذلك قال ابو مطهر الازدي في مناظرة اهل اصبهان : « هل ارى عندكم من ارباب الصناعات مثل من ارى ببغداد من الوراقين والخطاطين»[١] .

الخط الوراقي .

كان للوراقين لا محالة اقلام مختلفة حسب اختلاف المطلوب منهم ، ولكنهم اختصوا بنوع من الخط كان يعرف بالوراقي والمحقّق والعراقي ، كما نبه عليه ابن النديم[٢] ، ولم نقف على وصف له ، ويغلب على الظن انه كان بالقلم الجليل لا تساع رقعته وجلاء صفحاته وزيادة ما يقتضيه من الصحف ، وفي تعددها زيادة اجورهم واثمانهم ، وفي عكس ذلك كان للمحدّثين قلم مختزل رقيق الحروف متراصّ تسهل معه مقاربة ما بين السطور وتوفير الورق والرق لغلائها في كل وقت ، وكان يسمى لذلك بالمُقرمط وقد كتب به مرةً الخليفة المعتز بالله فقال له علي بن حرب الطائي : اخذت يا امير المؤمنين في شؤم اصحاب الحديث فضحك المعتز[٣]

ومن اوضح الشواهد على ما كان احياناً من الفروق بين خط الوراقين وخطوط المصنفين والعلماء ما ذكره ابن عساكر في ترجمة الحسين بن احمد النيسابوري الحافظ قال : افنى عمره في جمع المسند الكبير . . . وقع في خطه في الف وثلاثمائة جزء ولقد قلت على التحقيق انه يقع في خطوط الوراقين في اكثر من ثلاثة آلاف جزء . . . وكان مسند ابي بكر الصديق (رضه) بخط المترجم في بضعة عشر جزءاً بعلله وشواهده . وكتبه الوراقون في نيف وستين جزءاً[٤]

---

١) حكاية ابي القاسم البغدادي ٣٤

٢) الفهرست ١٣

٣) تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٤١٩ .

٤) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٥٣

وراقة المصاحف

اقتصر قوم من اشغال الوراقة على كتابة المصاحف . واول من كتبها في الصدر الاول من الموصوفين بحسن الخط خالد بن ابي الهياج كان مختصاً بكتابة المصاحف والشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك . وكتب لعمر بن عبد العزيز مصحفاً تنوّق فيه فاقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فردّه عليه[١] . وفي ضدّ ذلك كتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ختمة لبيبرس الجاشنكير في سبعة اجزاء بليقة ذهبية فاعطاه بيبرس برسم الليقة لا غير الف وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة[٢] .

وعدّ ابن النديم كتاب المصاحف وبدأ منهم بخشنام البصري ومهدي الكوفي في ايام الرشيد ، وحكى ان خشنام كانت ألفاته ذراعاً مشقاً بالقلم وسرد على الاثر اسماء الوراقين الذين يكتبون المصاحف بالخط المحقق والمشق وما شاكل ذلك[٣] .

وقد سار في الآفاق ذكر خطوط ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهم من المجيدين الذين بلغوا الغاية في الاتقان والابداع .

وفي كتاب الفهرست اسماء بعض المذّهبين والمجلدين للمصاحف وكان بعضهم في زمان ابن النديم[٤] ، وذكر السمعاني ابا اسحق ابرهيم السلمي وانه كان وراق المصاحف[٥] .

---

١) الفهرست ١٠
٢) المنهل الصافي ٦ : ١٦٧
٣) الفهرست ١٠
٤) « ١٤
٥) الانساب ٥٨٠

الوراقون المدلسون

كانوا هم الفئة الغالبة لاقبال الناس عموماً على السماع والحفظ . وقد اقتصر السمعاني على سياقة بعض مشاهيرهم وتعيين بعض وفياتهم ، وملأ الخطيب كتابه تاريخ بغداد بتعداد من عرف منهم ، وبعد ان قضينا الايام والليالي في جمع اسمائهم واخبارهم ، رأينا العدول عن نقلها تجنباً للتطويل والملل . ولم ينس الخطيب التنبيه على بعض المخلطين منهم نظير ابن الخفاف محمد بن الحسين بن ابي بكر قال : « غير ثقة لا اشك انه كان يركب الاحاديث ويضعها على من يرويها عنه ويختلق اسماء وانساباً عجيبة لقوم حدث عنهم وعندي منه من تلك الاباطيل اشياء . . . قال لي ابن الخفاف : احترق مرة سوق باب الطاق فاحترق من كتبي الف وثمانون منًّا كلها سماعي[1] » وقد اعترف مرة البغداديين بقلة التخليط والكذب فقال : « اما اهل الكوفة واهل خراسان ايضاً فلهم من الاحاديث الموضوعة والاسانيد المصنوعة نسخ كثيرة وقلما يوجد بحمد الله في محدثي بغداد ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب في الرواية[2] .

الوراقون الرواة والاخباريون

ذكر ابن النديم ان عبدالله بن ابي سعد كان اخبارياً نسابة راوية للشعر وله من الكتب : كتاب العربية ، وكتاب الايمان والدعاء والدواهي ، وكتاب المدينة واخبارها ، وكتاب الشعراء ، وكتاب الالقاب[3] . وفي الاصل المطبوع ان اسمه ابن ابي سعيد ، والصواب سعد كما في الاغاني (١ : ٩٦ و٩٨) وفي ارشاد الاريب (٢ : ٣٨ ؛ و٥ : ١٨٨) وهو احد الوراقين المعروفين بالادب وسعة الحفظ والرواية الذي نقل عنهم ابو الفرج الاصبهاني بعض احاديثه

١) تاريخ بغداد ٢ : ٢٥٠

٢) تاريخ بغداد ١ : ٤٤

٣) الفهرست ١٥٨

ومسموعاته وملأ بها كتابه علماً وظرفاً . ومنهم ايضاً الفضل بن العباس[١] ، وعيسى بن يحيي[٢] ، وابو محذورة[٣] ، وغانم الورّاق[٤] ، وعلان الشعوبي[٥] ، وعثان الورّاق[٦] ، وعلي بن الحسين بن عبدالسميع المروزي[٧] ، ومطير الوراق[٨] ، وعبدالله بن عمر[٩] ، وابرهيم بن محمد[١٠] ، وابن ابي المدور[١١] ، ومن اكثرهم ذكرًا واوسعهم حفظًا ورواية عيسى بن الحسين عددنا له ٣٨ رواية وحديثاً ، ولم نتقصّ في التتبع والاستيفاء .

ومن الرواة الذين اسند اليهم المسعودي بعض اخباره ، ابو الحسن محمد ابن علي الورّاق الانطاكي المعروف بابن الغنوي الفقيه ، اجتمع به في انطاكية وانشده شعرًا لعلي بن محمد بن بسام[١٢] .

الوراقون العلماء والنحاة والادباء

اشتهر منهم عليّ بن عيسى بن عليّ بن عبدالله الرماني ابو الحسن ، كان اماماً في العربية علامة في الادب ، في طبقة ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي . اطنب ابو حيان التوحيدي في تقريظه فقال وقد ذكر العلماء الذين يفضلون الجاحظ : « ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم يُرَ مثله قط علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصرًا بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل

١) الاغاني ٥ : ٥٤
٢) « ١ : ١٤٤
٣) « ٧ : ٥٦
٤) « ٧ : ٦
٥) « ١١ : ١٧٢ ، و١٢ : ١٥٦
٦) « ١٢ : ٥
٧) « ١٢ : ١٧٦
٨) « ١٤ : ١٢٣
٩) « ١٧ : ٤٨
١٠) « ١٨ : ٤٧٠
١١) « ٢١ : ١٨٤
١٢) « مروج الذهب ١٠ : ٩٥ و١٠٤ و١٣٢

مع تأله وتنزه ودين يقين وفصاحة وعفافة ونزاهة »[1] مات سنة ٣٨٤/ ٩٩٤ وله عدة تصانيف.

وكان الحسن بن حامد بن علي بن مروان ابو عبدالله الوراق الحنبلي «مدرس اصحاب احمد وفقيههم في زمانه وكان له المصنفات العظيمة منها كتاب الجامع اربعمائة جزء يشتمل على اختلاف الفقهاء وله مصنفات في اصول السنة واصول الفقه وكان معظماً في النفوس مقدماً عند السلطان والعامة[2] »

ومن النحاة المتبحرين بالنحو وعلله محمد بن عبدالله ابو الحسن الورّاق كان بغدادياً وصنف في النحو كتباً حساناً ومات سنة ٣٨١/ ٩٩١ .

وعُرف من الاندلسيين محمد بن حمدون الغافقي القرطبي الورّاق « سكن اشبيلية وعني بتقييد الفقه وكان حسن الخط ضابطاً »[3] وعلي بن عبدالله بن موسى بن طاهر الغفاريّ السرقسطي « كان عارفاً بالنحو واللغة والادب بارع الخط حسن الوراقة جيد الشعر مات بوادي آش في حدود الاربعين وخمسمائة[4]. »

وعد كمال الدين ابو الحسن الشيباني القفطي في كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة في جملة علماء النحو: اسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي صاحب ابي بكر بن دريد وصالحاً الورّاق النيسابوري ابا اسحق تلميذ ابي نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح[5].

ومن الورّاقين النحاة ايضاً ابو الحسن محمد بن هبة الله[6]، وابو جعفر محمد بن حاتم[7]، ومحمد بن الحسن الاحول من العلماء باللغة والشعر، وكان ناسخاً يورق لحنين بن اسحق في منقولاته[8].

١) ارشاد الاريب ٥ : ٣٨٠ - ٣٨٣
٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٠٣
٣) بغية الوعاة للسيوطي ٣٩
٤) 〃 〃 〃 ٣٤٠
٥) نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) مجلد ١ جزء ١ ، ص ١٩٦، ومجلد ٣ جزء ٣ ص ٣٦٣
٦) نزهة الالباء في طبقات الادباء ، طبعة مصر ١٢٩٤ ، ص ٤٢٨
٧) تاريخ بغداد ٢ : ٦ و٩
٨) انباه الرواة مجلد ٢ ، جزء ١ ، ص ٦٤

ومن الورّاقين الادباء ابو الحسن علي بن المغيرة الاثرم «كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها ومات سنة ٢٣٣ (٨٤٦م)» وله من الكتب: كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث وحدّث ابو مسحل عبد الوهاب قال . كان اسمعيل بن صبيح الكاتب قد اقدم ابا عبيدة من البصرة في ايام الرشيد الى بغداد واحضر الاثرم وهو يومئذٍ وراق وجعله في دار من دوره واغلق عليه الباب ودفع اليه كتب ابي عبيدة وامره بنسخها فكنت انا وجماعة من اصحابنا نصير الى الاثرم فيدفع لنا الكتاب والورق الابيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نردّه اليه فكنا نفعل ذلك ، ويؤخذ من ستة ابيات نقلها عنه ياقوت انه توفي وقد تجاوز تسعين سنة من العمر[1].

ومن اوسعهم علماً وابعدهم ذكرا ابو حيان التوحيدي ، وهو الذي دعا الوراقة «حرفة الشؤم» ، كما تقدم من لفظه ، وهو امام الوراقين ، اطال ياقوت في ترجمته وحكاية اخباره ووصفه بانه كان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام ، وانه فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة ، فرد الدنيا لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة واسع الدراية والرواية قال : ولكنه مع ذلك كان سخيف اللسان قليل الرضى يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه[2] . وقد سبق مثال من ذمه الصاحب بن عباد . واورد له ياقوت نظائر من كتابه اخلاق الوزيرين . وفاتنا بضياع هذا الكتاب وكتابه الآخر «المحاضرات والمناظرات» فوائد غريبة ونوادر يتيمة ومن وقف على كتبه : «الامتاع والمؤانسة» و«المقابسات» و«رسالة الصديق والصداقة» يدرك مقدار فضل الرجل وبعد غوره وله تصانيف كثيرة احرق جانباً وغسل جانباً آخر منها في آخر عمره قال : «لقلة جدواها وضنًّا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته» واعتذر عن هذا الاثم

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٤٢١ ؛ ونزهة الالباء ٣١٩
٢) « « ٥ : ٣٨٠ — ٣٨١

بالتأسي بمن سبقه من الائمة والعلماء ويؤخذ من كلام له انه كان حياً بعد سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) وانه بلغ عمر التسعين[١].

ومن ادباء الورّاقين ومتقدميهم ابو حفص الاصبهاني كتب الى الصاحب ابن عباد رقعة يستميح بها حنطة قال له فيها: « حال عبد مولانا في الحنطة متخلفة وجرذان داره عنها منصرفة » فوقع على رقعته: « احسنت يا ابا حفص قولًا وسنحسن فعلًا فبشر جرذان دارك بالخصب وآمنها من الجدب فالحنطة تأتيك في الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع »[٢].

ومنهم ابو الفتح بن الخرّاز، وابو بكر القنطري، وابو الحسين بن الخراساني، وهذان قال ياقوت « هما من جلّة اهل هذه الصنعة. »[٣] ومنهم ايضاً ابو القاسم بن عقيل الوراق حدّث ان ابا جعفر الطبري قال لاصحابه: « أتنشطون لتفسير القرآن قالوا بكم يكون قدره قال: ثلاثون الف ورقة فقالوا: هذا مما يفني الاعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال: تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا؟ قالوا: كم قدره فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فاجابوه بمثل ذلك فقال: انا لله ماتت الهمم فاختصره في نحو ما اختصر التفسير »[٤]. ولعلّ اصحاب الطبري كانوا ورّاقيه ومنهم كان ايضاً في الارجح ابو القاسم بن حُبيش قال: « كان قد التمس مني ابو جعفر الطبري ان اجمع له كتب الناس في القياس فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً فاقامت عنده مُديدة . . . فردّها علي وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها[٥]. »

ومنهم ابو اسحق ابرهيم بن صالح، تلميذ الجوهري، ذكره الباخرزي في كتاب دمية القصر وانشد له بيتين في معنى دودة القزّ. وروى له ياقوت

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٣٨٨
٢) 〃 〃 ٢ : ٣٢٦ – ٣٢٧
٣) 〃 〃 ٣ : ١٠٥
٤) 〃 〃 ٦ : ٤٢٥ – ٤٢٦
٥) 〃 〃 ٦ : ٤٥٣

بيتين آخرين في الهجاء[1] . وقال اذ، لما مات الجوهري ، بعد ان سُمع منهُ كتاب الصحاح الى باب الضاد المعجمة ، بقي بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة ، فبيّضه ابو اسحق ابرهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً[2]، ولا نعلم هل كان والده صالح هو الوراق الذي ذكر ابو حيّان التوحيدي انه كان في حضرة الصاحب بن عباد في جملة من الكتاب والندماء[3].

وقد تقدم ذكر ابن ابي الجوع وثناء ابن خلكان عليه لحلاوة شعره ومما يشهد ايضاً بتقدمه وتفوقه في الادب والعلم ما حكاه ابن خلكان في كلامه على الامير المختار عزّ الملك المعروف بالمسبحي ، الكاتب الحرّاني الاصل المصري المولد قال : « استزارابا محمد عبيد الله بن ابي الجوع الاديب الوراق الكاتب المشهور فعمل المسبحي هذه الابيات وانشده اياها على البديهة:

حللتَ فاحللت قلبي السرورَ   وكاد لفرحته ان يطيرا
وامطر علمك سحب السماء   ولولاك ما كان يوماً مطيرا
تضوّع نشرك لما وردت   وعاد الظلام ضياءً منيرا[4]

ووصفه الصفدي فقال: «كان محققاً للنحو واللغة والبلاغة وقول الشعر جيد الخط مليح الضبط ومات بمصر سنة ٣٩٥»[5] (١٠٠٤م)

وفي مقدمة الورّاقين وابعدهم صيتاً محمد بن اسحق النديم المعروف بالوراق ومن طالع كتابه الفهرست مع ما اعتوره من النقص واغلاط النسخ والطبع ، يعلم منزلته في العلم ورواية الاخبار والانساب والتراجم وسعة الاطلاع والحفظ ، وكانت وفاته سنة ٣٨٥/٩٩٥ ، ولا ندري هل نسج بعده احد على منواله في تعريف الكتب والمصنفين في انواع العلوم والفنون . واشتهر نظيره ياقوت الرومي الحموي بكتابيه « معجم البلدان » و « معجم الادباء » واربى عليه

---

١) ارشاد الاريب ١ : ٦٥
٢) « « ٢ : ٣٦٩
٣) « « ٥ : ٢٩٣
٤) وفيات الاعيان ٣٤٣
٥) بغية الوعاة للسيوطي

بخدمة التاريخ وتعريف البلدان . ومن الغريب جدًا ان يكون مثل الوزير كمال الدين القفطي قد بخسه حقه وتنقّصه كثيرًا في إخباره عنه في كتابه المخطوط انباه الرواة مع ان ياقوت لم يقصر في الثناء عليه ووصفه بالرئاسة والعلم والفضل والإفضال كل مرة اشار اليه فيها . ولا بد دفعاً للظلم وحباً بالعدل والانصاف من نقل كلام القفطي بحرفه ليتضح تحامله واستخفافه بمؤلف معجم البلدان قال باختصار قليل :

« كان رحمه الله وعفا عنه رومي الجنس أسر صغيرًا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر الحموي وجعله في الكتّاب لينتفع به في ضبط تجارته . . . ولما كبر ياقوت هذا قرأ شيئاً يسيرًا من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتكرر الى كيش والشام ثم جرت بينهما نبوة اقتضتها الحال فعتقه وابعده عنه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصّل بالمطالعة فوائد اقتضاها فهمه على عسر كان في فهمه ومكابرة كانت في خلقه . . . وربما جعل بعض تجارته كتباً وكان ذلك سبب اجتماعي به . . . وتأملته في منظره ومخبره فتوسمت فيه امورًا لم يخل حدسي فيها وعلمت انه لا يصلح للعشرة وسافر من حلب وعاد اليها دفعة اخرى في شهور سنة ثلث عشرة وستمائة واحضر معه كتباً ذكر انها وديعة لغيره كان في بعضها الجيد وتوجه الى دمشق وكان شديد الانحراف عن علي بن ابي طالب (عم) . . . ولما دخل دمشق قعد في بعض اسواقها يناظر من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام ادّى الى ذكره علياً بما لم يسغ جارياً على عادته في ذلك فثار الناس عليه ثورة كادوا ان يقتلوه لما سمعوه منه وقدّر الله له السلامة فخرج عن دمشق منهزماً بعد طلب واليها المعتمد الموصلي وجاء الى حلب خائفاً يترقب وخرج عن حلب في العشر الاول والثاني من جمادى الآخرة سنة ثلث عشرة وستمائة ووصل الى الموصل متخيّفاً (كذا) من قوله وتوجه الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له كان بغدادياً وخشي ان ينقل قوله فيطيح دمه واقام بخراسان يتجر في بلادها واستوطن مرو وخرج عنها الى نسا وسلك الى خوارزم في جيحون وصادفه وهو في خوارزم خروج التتار فانهزم بنفسه كبعثه

يوم الحشر من رمسه وقاسى من القلة والتعب وتشعث الحال ماكان يكلّ عن وصفه ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب واعوزه دنيّ الماكل وخشن الثياب. وتلوّم بالموصل مدة ثم وصل الى سنجار ومن سنجار الى حلب ولما وصل دخل عليّ في حالة يسوء منظرها ووصف من امره اموراً لا يسر مخبرها. وقال قد القيت عصاي ببابك وخيّم املي بجانب جنابك فقلت في جوابه : اقاسمك العيش وسألت الله ان يرزقني الثبات على خلقه لا الطيش فان اخلاقه خلقة ومخاريقه منخرقة . . . فاقام مشاركاً المعلوم باذلا لـه كتب العلوم فلفق منها مجموعات لم يكملها ونسخ وباع في عدة سنين اقامها عندي محمول الكلفة بحكمة اقتضاها حالـه وسافر ببضاعة من الخام الى مصر فاربحته ربحاً قريباً وعاد بعمول مصر فاربح فيـه واقام بالجنان ظاهر حلب فرض ومات به في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة رحمه الله »[1] .

ونحن لا نلوم كمال الدين لتضجره من سوء خلق ياقوت كما عابه به ولا من استثقاله ضيافته وعشرته ولكن ننكر عليه اشد الانكار نسبة عسر الفهم اليه ووصف كتبه بالتلفيق والمخرقة، وقد ذكر ياقوت انه جمعها واقتبس اكثر فوائدها من الخزائن، التي طالعها في مرو ، وليس من الكتب التي وقف عليها في دار كمال الدين في حلب فهل يسوغ لنا ان نتهم مؤلف انباه الرواة بحسد ياقوت عليها . وما ندري ايّ كتبه يعني بالمجموعات التي لم يكملها فهل لم يقف على مؤلفاته «معجم البلدان» «ومعجم الادباء» و«المشترك» ؟ ام سكت عنها تعمداً وحقداً .

ومن فضلاء الوراقين وادبائهم سعد بن علي بن القاسم الانصاري الحظيري مؤلف « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » المتوفى سنة ٥٦٨/١١٣٢[2] وسيأتي ذكره في مقدمة الوراقين الدلالين .

---

١) إنباه الرواة على أنباه النحاة مجلد ٢ ، جزء رابع ، ص ٢٦٣ — ٢٨٠

٢) ارشاد الاريب ٤ : ٢٣٢

الوراقون الكتبيون

اشتهر في العصور الاخيرة بعض الوراقين ببيع الكتب، ولذلك كان يقال لهم الكتبيون، ومنهم جمال الدين محمد بن ابرهيم بن يحيي المعروف بالوطواط ولد سنة ٦٣٢/١٢٣٤. وله «غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة» المطبوع، وكتاب «مباهج الفكر ومناهج العبر» المخطوط ومنه نسخة في خزانة بريتش موزيوم (Add. 7483) ونسخ في دار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤ و٣٥٩ و٤٢٠ علوم طبيعية) واحسنها رقم ٣٥٩ المصورة في ثلاثة مجلدات وفيها فوائد جمة ومقتبسات ممتعة ولا تعاب الا بتكلف السجع، وهو العيب الذي كان غالباً في زمانه قال في مقدمته: وبعـد فاني لم ازل من قبل ان يبلغ عمري الابدار ويصدني التكليف عن ركوب مطا الخطر في الايراد والاصدار متخذاً الوراقة صناعة وبضاعة، معتمداً عليها في إخلاف ما اتلفه الاتقان والصناعة حتى سبقت في معرفتها من كان وجيهاً ورجاني في عوائد موائدها من ظل زمانا بنفسه يرتجيها وكنت قد وكات بمراجعة الكتب قلباً وشغفت بها كلفاً وحباً[1] ...

ومن الكتبيين النساخ محمد بن احمد القرشي الدمشقي ابو عبدالله شرف الدين كان خطه كثير السقم مع حسنه توفي سنة ٦٨٠ / ١٢٨١ وسيمر بنـا قريباً ذكر ابن شمعون الكتبي في جملة الوراقين الشعراء.

واشتهر بدمشق محمد بن شاكر الداراني الدمشقي «كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرزق منها مالاً طائلاً»[2] وله فوات الوفيات المطبوع، وكتاب عيون التواريخ المخطوط، ومنه مجلدات بقلمه محفوظة في خزانة الفاتيكان والخزانة التيمورية في القاهرة، واجزاء منسوخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتبة الاحمدية في حلب. وفي خزانة باريس مجلد منه توسع فيه جداً في الكلام على دمشق ومصانعها ودورها القديمة وبعض خططها وروى كثيراً من الاشعار المقولة فيهـا نقل سوفير في المجلة الاسيوية في باريس صفحات منه الى الفرنسية والمجلد باسره حري بالنشر وكانت وفاة ابن شاكر سنة ٧٦٤/١٣٦٢.

١) مباهج الفكر، رقم ٣٥٩، دار الكتب المصرية، ص ٢

٢) الدرر الكاملة لابن حجر العسقلاني، طبعة حيدر اباد ٣ : ٤٥١

ومن كتبيي القرن الثامن للهجرة شمس الدين محمد بن قاضي اليمن توفي بدمشق سنة ١٣١١/٧١١[1] وابو اسحق ابرهيم بن شمس الدين الفاشوشة اشتغل بالعربية والادب ومن شعره في المشمش اللوزي :

قد اتى سيّدُ الفواكه في ثو ... بِ نضارٍ والشهد منه يفور
يشبه العاشق المتيم حالًا ... اصفر اللون قلبه مكسور[2]

توفي سنة ١٣٣٢/٧٣٣ وتوفي بعده في رجب سنة ١٣٩٣/٧٩٥ احمد بن ابرهيم الكتبي الصالحي الحنفي كان مشاركاً في الفنون[3]

الورّاقون القضاة

عُرف منهم محمد بن ابي الليث الاصمّ . ولي القضاء بمصر من قِبل ابي اسحق المعتصم سنة ٢٢٦ (٨٤١–٨٤٠) « وكان قبل دخوله مصر ورّاقاً على باب الواقدي وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين»[4] .

وفي سنة ١٠٠٨/٣٩٨ «استخلف مالك بن سعيد قاضي مصر حمزة بن علي الغلبوني وفوّض اليه جميع الامور . . .فرفع اليه جماعة منه اموراً انكروها وبالغوا في ذلك . . وكتبوا محضراً اشتمل على عظائم . . . وكانت صورة المحضر بعد البسملة : هذا ما شهد به من يسمى في هذا الكتاب انهم يعرفون حمزة بن علي بن يعقوب الغلبوني الورّاق معرفة صحيحة»[5]

وفي سنة ١١٨٢/٥٧٨ « توفي ابو الحسن علي بن ابي المعالي المبارك وقيل احمد بن ابي الفضل بن ابي القاسم الورّاق الدارقزّي المحوّلي الفقيه المعروف بابن غريبة ولد في منتصف رمضان سنة ٥٠٦ (١١١٣م) وسمع وتفقّه وولاّه الوزير ابن هبيرة رفع المظالم وانقطع في آخر عمره بالمحوّل الى ان فلج ومات»[6]

ومن القضاة الورّاقين الزنوج « محيي الدين عبد القادر النبراوي كان اقدم

١) تالي كتاب الاعيان للصفاعي ٢٠٦١ باريس ، ٦٦
٢) شذرات الذهب ٦ : ١٠٤
٣) « « ٦ : ٣٣٧ – ٣٣٨
٤) كتاب الولاة والقضاة للكندي ، ٤٤٩
٥) ذيل كتاب الولاة ٦٠٩ ، عن رفع الاصر ٤٢
٦) شذرات الذهب ٤ : ٢٦٤

الحنابلة بمصر واعرفهم بصناعة التوريق والقضاء والفقه وكان اسود اللون »[1].

الوراقون الشعراء

كان بكر بن خارجة الكوفي « ضيّق العيش مقتصراً على التكسب من الوراقة وصرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً ماجناً قال محمد بن الحجاج : رأيت بكر بن خارجة يبكر كل يوم بقنينتين من الشراب الى خراب من خرابات الحيرة فلا يزال يشرب فيه على صوت هدهد كان يأوي ذلك الخراب الى ان يسكر ثم ينصرف وكان يتعشق ذلك الهدهد »[2]

وحرّم مرة بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمّاري الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلاً وقال :

يا لقومي لما جنى السلطانُ ... لا يكوننّ لما اهان الهوانُ
قهوة في التراب من حلب الكر ... م عقار كأنها الزعفران
قهوة في مكان سوء لقد صا ... دف سعد السعود ذاك المكان
من كميت يبدي المزاج لها لو ... نٌ نظم والفصل منها جمان
فاذا ما اصطبحتها صفّرت في ... القدر تختالها هي الجرذان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل ... يصبر عن بعض نفسه الانسان

ولبكر بن خارجة في عيسى بن ايليا[3] العبادي الصيرفي من اهل الحيرة قصيدة غزلية على نمط قصيدة مدرك بن علي الشيباني في عمرو بن يوحنا النسطوري، وقصيدة ابي نواس في عبد يشوع بن مار سرجس منها قوله:

بمارت مريم وبدير زكّي ... ومر تومسا ودير الجاثليق
وبالانجيل يتلوه شيوخ ... من القسّان في البيت العتيق
وبالقربان وبالصلبان الا ... رثيت لقلبي الدنف المشوق
أجيرني-مت قبلك - من هموم ... وأرشدني الى وجه الطريق
فقد ضاقت عليّ وجوه امري ... وانت المستجار من المضيق[4]

---

١) شذرات الذهب ٨ : ١٥٩

٢) الاغاني : ٢٠ : ٨٧ - ٨٨

٣) في الاغاني ان اسمه عيسى بن البراء ؛ وفي مسالك الابصار عشير بن ايليا، والصواب ما اثبتناه .

٤) معجم ما استعجم للبكري ٣٧١

وله فيه ايضاً قصيدة مزدوجة منها البيتان :

وشادن قلبي به معمودُ شيمته الهجران والصدودُ
زنّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدودُ

قال دعبل الشاعر : ما يعلم الله اني حسدت احدًا قط ما حسدت بكرًا على هذين البيتين[1].

وكان لعمرو الوراق ديوان مجموع خمسون ورقة[2] وصفه الشابشتي فقال : كان عمرو هذا من الخلعاء المجّان المنهمكين في البطالة والخسارة والاستهتار بالمرد والتطرح في الديارات ولـه شعر كثير في المجون ووصف الخمر . وروى طائفة من اشعاره اغلبها في المجون نجتزئ بايراد الآتية منها لدلالتها على مذهبه قال :

ومدامة كرخيّة حمراء من ماء العنبْ
عاقرتها في فتية ليسوا على دين العربْ
في معشر مهروا المجا نة في اللذاذة والطربْ
جعلوا المجانة سترة للعاذلين على الريبْ
تمضي الصلاة عليهم والسكر منهم في العصبْ
واذا مضت صلواتهم صلّوا جمادى في رجبْ[3]

وفي كتاب الاغاني ذكر عمر الوراق ، وهو ولا شك عمر بن عبد الملك الذي اشار اليه ياقوت في معجم البلدان . وكان عمر هذا في ايام ابي نواس ، حدّث[4] يوسف بن الداية قال : كان ابو نواس والفضل الرقاشي جالسين فجاء عمر الوراق فقال : رأيت جارية خرجت من دار آل سليمان بن علي فما رأيت احسن منها هيفاء نجلاء زجّاء دعجاء كانها خوط بان او جدل عنان فخاطبتها فخاطبتني باحلى لفظ وافصح لسان واجمل خطاب فقال الرقاشي : قد والله عشقتها قال ابو نواس : أوَ تعرفها ؟ قال : لا ولكن بالصفة وانشأ يقول :

صفات وحسن اورثا القلب لوعةً تضرّم في احشاء قلب متيّم

١) الاغاني ٢٠ : ٨٧
٢) الفهرست ٢٤٣
٣) كتاب الديارات ٧٤ — ٧٥

تمثلها نفسي لعيني فاشتي عليها بطرف الناظر المتبسم
ويحملني حبي لها فوق طاقتي من الشوق دأب الحائر المتقسم (١

واورد ياقوت لعمر بن عبد الملك قوله في دير مار يوحنا الى جانب تكريت:

اری قلبي قد حنّ الى دير مريحنا
الى غيطانه الفيح الى بركته الغنا
الى ظبي من الانس يصيد الانس والجنا
الى غصن من الآس به قلبي قد جنا
الى احسن خلق الله ان قدّس او غنّى
فلما انبلج الصبح بزلنا بيننا دنّا
ولما دارت الكأس أدرنا بيننا لحنا
ولما هجع السمّار غنينا وتمانقنا (٢

ومن المجّان التائبين محمود بن حسن الورّاق البغدادي. حكى السمعاني انه اكثر القول في الزهد والآداب والحكم(٣). ولا ندري كيف يتفق هذا الوصف بما رواه الشابشتي انه كان بينه وبين ابي الشبل البرجمي احد المتطرحين في الحانات والديارات «مودة وكانا لا يفترقان وذكر ابو الشبل قال: صرت انا ومحمود الوراق الى قطربل فدعونا الخمار فقلنا: ائتنا ببنت عشر قد انضجها الهجير فجاءنا بها فقلنا: اسقنا فسقانا فقلنا: اشرب واسقنا فقال: انا مسلم وكان يهودياً قد اسلم فقال لي محمود: قوم يكون الخمار عندهم مسلماً متحرجاً وهم عند الخمار كفّار أترى لله فيهم حاجة(٤) ومثل هذه الحكاية في الاغاني (١٣: ٢٤) وفي آخرها اشارة الى ما ارتكبه كل من الصاحبين من الفسق والفحشاء. وروى السمعاني انه كان يتجر ايضاً ببيع الرقيق ومات في خلافة المعتصم «قيل ان المعتصم طلب جارية لمحمود الورّاق بسبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها فلما مات محمود اشتُريت للمعتصم من ميراث محمود بسبعمائة دينار فلما وصلت اليه قال: كيف رأيتِ تركتك حتى اشتريتك من سبعة

١) الاغاني ١٥ : ٣٦
٢) معجم البلدان ٢ : ٧٠١
٣) الانساب ٥٨
٤) الديارات ٣٠

الاف بسبعمائة قالت: اجل اذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فان سبعين دينارًا كثيرة في ثمني فضلًا عن سبعمائة فاخجلته[1]».

ومن الغريب ان تتلاءم تجارة الرقيق بتجارة الوراقة ولعل لقب الورّاق لمحمود كان اسمًا فقط لا حرفة يرتزق بها او أنه بدأ بالوراقة وعرف بها ثم انتقل الى النخاسة، وختم عمره بالزهد ونظم الحكم والاداب تكفيرًا عن لهوه ومجونه . وامثال هؤلاء المجّان الذين ادركتهم التوبة على شفا القبر كثيرون في الاسلام . ولمحمود الورّاق ابيات يُتمثل بها ذكرها النويري في نهاية الارب (٣ : ٨٨)

وروى له الخطيب في تاريخ بغداد الابيات الآتية قال انشدها لنفسه .

رجعت الى السفيه بفضل علمي فكان الحلم عنه له لجاما
وظنّ بيَ السفاه فلم يجدني اسافهه وقلت له سلاما
فقام يجرّ رجليه ذليلا وقد كسب المذلة والملاما
وفضل الحلم ابلغ في سفيهٍ واحرى ان تنال به انتقاما

حدّث ابو بكر الطالقاني عن ابيه قال : كنت جالسًا عند محمود الوراق والناس يعزّونه عن جاريته نشو وكان قد أعطي بها آلافًا من الدنانير . واذا بعض المعزّين يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه، ففطن له فانشأ يقول :

ومُتنصحٍ يكرر ذكر نشو ليحدث لي بذكراها اكتئابا
اقول وعدّ ما كانت تساوي سيخلفه الذي خلق الحسابا
عطيّته اذا اعطى سرورًا وان اخذ الذي اعطى اثابا
فاي النعمتين اعمُّ فضلًا واكرم في عواقبها ايابا
انعمته التي اهدت سرورًا ام الاخرى التي اهدت ثوابا
بل الاخرى وان نزلت بكرهٍ احق بصبر من صبر احتسابا

ولمحمود ايضاً :

كبر الكبير عن الادبْ ادب الكبير من التعبْ
حتى متى والى متى هذا التمادي في اللعبْ
والرزق ان لم تأتهِ لاتاك عفوًا من كثبْ
ان نمت عنه لم ينم حتى يحركه السببْ[2]

١) الانساب ٥٨
٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٨٨

ولمساور الوراق ديوان في خمسين ورقة[1] . ويظهر انه كان محروماً من حرفته لا يتبلغ بها ، ولذلك سأل ابن ليلى ان يشغله في جملة قوم كتبهم لعيسى ابن موسى فلم يفعل فانشأ يقول :

اراك تشير باهل الصلا ح فهل لك في الشاعر المسلم
كثير العيال قليل السؤال عفٌ مطاعمه معدم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكا ةَ وقد حلق العام بالموسم
واصبح والله في قومه وامسى وليس بذي درهم

فولّاه عيسى بن موسى عملاً ودفع اليه عهده فانكسر عليه الخراج فدُفع الى بَطين صاحب عذاب عيسى ليستأديه .

وقيل سمع مساور الوراق لغط اصحاب ابي حنيفه وصياحهم فانشأ يقول :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا باصحاب المقاييس
قوم اذا اجتمعوا صَجوا كأنهم ثعالب نبحت بين النواويس

فبلغ ذلك ابا حنيفة واصحابه فشقّ عليهم وتوعدوه فقال ابياتاً ترضيهم وهي :

اذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدة من الفتيا ظريفه
اتيناهم بمقياس ظريف مصيب من قياس ابي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها وعاها واثبتها بحبر في صحيفه

فبلغ ابا حنيفة فرضي . قال مساور : ثم دعينا الى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فلم اجد لرجلي موضعاً من الزحام واذا ابو حنيفة في صدر البيت فلما رآني قال لي: يا مساور الِيّ يامساور فجئته فاذا مكان واسع وقال لي : اجلس فجلست فقلت في نفسي نفعتني ابياتي اليوم . قال وكان اذا رآني بعد ذلك يقول لي: ههنا ههنا ويوسع لي الى جنبه ويقول: هذا من اهل الادب والفهم[2] » .

ولا يخفى ما في هذه النكتة من الملاحة والدلالة على الاخلاق والاوصاف في الحضارة العباسية .

---

١) الفهرست ٢٣٠

٢) الاغاني ١٦ : ١٦٧ — ١٦٩

وعُرف ايضاً من الوراقين الشعراء سهل بن ابرهيم من اهل القرن الثاني ، من ادباء القيروان ، اورد له ياقوت بيتين في حصار سوسة[1] . وعلي بن الحسين ابن علي العبسي « يعرف بابن كوجك الوراق كان اديباً فاضلاً يورق بمصر وصنف كتباً منها كتاب الطنبوريين . ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث ، وكان ابوه الحسين بن علي من اهل الادب والشعر[2] » وممن عرفوا بالمجون والنفاق ابو بكر الوراق التيمي الشاعر سيأتي ذكره في جملة ظرفاء الوراقين.

ومنهم ابو حاتم الوراق من قرية كشمر من نيسابور . وعبدالله بن صارة الشنتريني المتوفى في المرية بالاندلس سنة ٥١٧/١١٢٣ ، وقد تقدم لكل منهما بيتان في ذمّ الوراقة. وسيأتي ذكر علاّن الشعوبي الوراق الشاعر الذي انتصر لعبدالله بن طاهر ، وردّ على محمد بن يزيد الحصني الاموي.

ومن اشهر الشعراء المحترفين الذين عُرفوا بلقب حرفتهم الاولى السريّ الرفّاء الموصلي « لما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو الى حرفة الادب واشتغل بالوراقة[3] » ، « ونابذ الخالديّين الموصليين وناصبهما العدواة وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وجعل يورق وينسخ ديوان شعر ابي الفتح كشاجم وهو اذ ذاك ريحان اهل الادب بتلك البلاد . . . وكان يدس في ما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما . ومن اوائل شعره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرّز قوله لصديق له كتب اليه يسأله عن خبره :

يكفيك من جملة اخباري   يسري من الحب وإعساري
في سوقة افضلهم مرتدٍ   نقصاً ففضلي بينهم عاري
وكانت الابرة في ما مضى   صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً   كأنه من ثقبها جاري[4]

وقد اطال الثعالبي في الكلام على اشعاره ومآخذه ، وتكراراته وقلائده

١) معجم البلدان ٣ : ١٩٣ ؛ وارشاد الاريب ٤ : ٢٥٩
٢) ارشاد الاريب ٥ : ١٧٩
٣) 〃 〃 ٤ : ٢٢٧
٤) يتيمة الدهر طبعة دمشق ١ : ٤٥٠ — ٤٥١

وغرر معانيه ، ودعواه سرقات الخالديين وغيرهما من شعره، واهاجيه للشعراء وغزلياته وتذكاراته وامداحه ومعاتباته ، ومـا اخرج له في الربيع وآثاره وازهاره والشراب ، وما يتصل به والاستزارة ونعت الآتها واوصاف له شتى استغرق فيها ٥٧ صفحة من كتاب اليتيمة (١ : ٤٥٠-٥٠٧). وذكر ياقوت ان السري توفي في بغداد سنة ٩٧٢/٣٦٢. وقال الخطيب: «آذاه الخالديان اذى شديداً وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره[1]».

ومن الشعراء الذين ماتوا وجداً وهياماً سعد الورّاق في الرها «كان دكانه مجلس كل اديب وكان حسن الادب والفهم يعمل شعراً رقيقاً»[2] ألف دكانه غلام نصراني تأدب فما لبث سعد ان أولع به ولما ترهب الغلام تبعه الى الدير ومات على بابه جنوناً وقد ساق ياقوت قصته واشعاره في كتابه ارشاد الاريب (٢:٢٢-٢٦) وحكيناها نحن في كتابنـا الديارات النصرانية في الاسلام (٨١-٨٣) نقلاً عن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي وكتاب الديارات لابي الفرج الاصبهاني.

وفي المنهل الصافي لابن تغري بردي بيتان لسعد بن علي الوراق في صفـة ساعٍ وهما :

وساعٍ سريع اذا ما عدا ... لقلبي سبى ولدمعي سفك
يسابق في الجري ريح الشما ... ل فيزري على دوران الفلك[3]

وهو دون ريب غير سعد الرهاوي المتقدم .

وفي تاريخ بغداد للخطيب الابيات الآتية لعلي بن الحسن بن علي بن زكريا ابي القاسم ، الشاعر الورّاق :

سرور الدنوّ بحزن الزيال ... كذا الدهرُ يعقب حالا بحال
ومرّ الفراق بحلو العناق ... وقبح الصدود بحسن الوصال
وطول البكاء لفقد الحبيب ... برؤية وجه بديع الجمال
تريد كمالاً ويأبى الزمان ... فيأتيك رغما بضد الكمال[4]

١) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤
٢) ارشاد الاريب ٢ : ٢٣
٣) المنهل الصافي ١٠ : ١٩٣
٤) تاريخ بغداد ١١ : ٣٨٤ - ٣٨٥

ومن الكتبيين المتأخرين شمس الدين ابرهيم بن ابي بكر بن عبد العزيز الجزري نسبته الى جزيرة ابن عمر ويُعرف بابن شعون «كان من الفضلاء المطلعين على العلوم واخبار العالم وتواريخ المتقدمين واجتمع له من الكتب في حانوته بدمشق شيء كثير ولما احترقت سوق اللبادين في الدولة المنصورية قلاوون احترق جميع ما كان في حانوته من الكتب ثم توجه بتجر الى الديار المصرية في الايام الكاملية فاتفق في ذلك وقت حضور المطربين في خدمة السلطان فغنّت بعض النسوان :

يا ايها القمر المنير   من جور حسنك من يجيري

فاعجب السلطان واطلق للمغنية آلات المجلس وكان في جملة المطربين بنت نوري فطلبت من يعمل ابياتاً في هذا الوزن فعرفها بعض اصحاب شمس الدين هذا به فسألته ذلك فعمل :

قسماً بديجور الشعور   وبصبح إسفار الثغور
وباسمر حلو اللما   طفرٍ واللمى امسى سميري
ما للصوارم والقنا   فعل اللواحظ في الصدور

فغنتها بنت نوري فاطلق لها السلطان المجلس . ثم عرض لشمس الدين المذكور مرض فنقلته الى دارها وخدمته الى ان عوفي وقالت له : كل ما في البيت من احسانك .

وله في شخص بدمشق :

قالوا به يبس وفرط قساوة   فكأنه في الحالتين حديد
فاجبتهم كذباً ومينا قلتم   من اين يشبه طبعه الجلمود
ومياه جلّق كلها متحازة   في بعضه فهو الفتى المحمود
الفاظه بردى وصورة جسمه   ثورا واسا كذبه فيزيد(١

واشهر المتأخرين عمر بن محمد بن سراج الدين الورّاق المصري، كان اشقر ازرق وفي ذلك يقول :

ومن رآني والحمار مركبي   وزرقتي للروم عرق قد ضرب
قال وقد ابصر وجهي مقبلا   لا فارس الخيل ولا وجه العرب

---

١) تالي وفيات الاعيان للفضل ابن الصقاعي ، ٢٠٦ . باريس ، ١٥

واورد له ابن شاكر لطائف ومختارات لا يخلو بعضها من الفحش والقذر، وهو العيب الذي لا يكاد يتبرأ منه شاعر في الغالب، وشعره كثير جداً اثبت منه بخطه سبعة اجزاء كبار ملكها ابن شاكر وقال: لعل الاصل كان من حساب خمسة عشر مجلداً وكل مجلد يكون مجلدين فهذا الرجل اقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديئه في ثلثين مجلداً »[1].

وقد اكثر ذكر صناعته في شعره حتى قيل له: لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك. وهو القائل:

يا خجلتي وصحائفي سود غدت وصحائف الابرار في اشراق
وموبّخ لي في القيامة قائل أكذا تكون صحائف الورّاق[2]

وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٩٥ / ١٢٩٦.

أعراب الوراقين وظرفاؤهم

لم نجد الا اسم أعرابي واحد كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وهو ابو مالك عمرو بن كركر[3].

ومن ظرفائهم ورّاق كان يقال له « سذاب » باسم النبات المعروف بالفيجن وله ورق كالصعتر، اجتاز به يوماً المبرّد صاحب الكامل وهو على باب داره، فقام اليه وسأله إن يسرّه بدخول منزله ومساعدته على ما حضر. فقال له المبرد ما عندك؟ فقال: يا سيدي عندي انت وعليه انا يعني اللحم المبرد فضحك منه واجابه[4].

ومن خلعاء القراء والوعاظ المتسترين بالوراقة عتيق بن محمد ابو بكر الوراق التيمي الشاعر. حكى ابن رشيق انه رآه في الجامع يقرأ الرقائق والمواعظ ويبكي تخشعاً ثم جاءه عشية ذلك اليوم في بيته فوجده في يده

١) فوات الوفيات ٢ : ١٣٥ — ١٣٩
٢) خزانة الادب لابن حجة الحموي ٢٤٤ — ٢٤٥
٣) الفهرست ٦٦
٤) النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٣٩

طنبور وعن يمينه غلام مليح فقال له : ما ابعد بين حالتيك في مجلسيك فقال: ذلك بيت الله وهذا بيتي اصنع في كل منهما ما يليق بصاحبه . واورد له ابن شاكر قطعاً من شعره منها قوله :

كلما اذنب ابدى وجهه حجة فهو مليّ بالحجج
كيف لا يفرط في اجرامه من متى شاء من الذنب خرج[1]

الوراقون الدلالون وجماعو الطرائف

من اشهر من كان يعرف بالورّاق دلّال الكتب سعد بن علي بن القاسم الانصاري الحظيري صاحب كتاب زينة الدهر وعصرة اهل العصر الذي جعله ذيلًا على يتيمة الدهر للثعالبي ، وله كتاب لمح الملح ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، لم نتمكن من مطالعتها لاستئثار بعض غرف الدار بها . وله ايضاً ديوان شعر لا يهتدى اليه توفي في بغداد سنة ٥٦٨/١١٧٢ ومن لطائفه:

قل لمن عاب شامة لحبيبي دون فيه دع الملامة فيه
انما الشامة التي قلت عنها فصّ فيروزج بخاتم فيه[2]

ومن الدلالين عبد الرحمن بن موسى بن عمر الناسخ -ابن المناديلي ، كان حسن الخط نسخ كثيراً من الدواوين الشعرية ومات في جمادى الاخرة سنة ٧١٥ (١٣١٥م)[3] .

وكان خيران الورّاق احد الدلالين المقومين للكتب . ولما مات احمد بن ثعلب « خلف كتباً جليلة فاوصى الى علي بن محمد الكوفي احد اعيان تلاميذه وتقدم اليه في دفع كتبه الى ابي بكر احمد بن اسحاق القطربلّي . فقال الزجاج للقاسم بن عبدالله (الوزير) هذه كتب جليلة فلا تفوتنك فاحضر خيران الوراق فقوّم ما يساوي عشرة دنانير بثلاثـة فبلغت اقل من ثلثمائة دينار فاخذها القاسم بها[4] » .

---

١) فوات الوفيات ٢ : ٣٧
٢) ارشاد الاريب ٤ : ٢٣٢ — ٢٣٣
٣) الدرر الكامنة لابن حجر ٢٤٩
٤) الارشاد الاريب ٢ : ١٤٤— ١٤٥

ومن الخزائن التي بيعت في الدلالة بابخس الاثمان تركة الطبيب الاسلمي اسعد ابن المطران ، وفيها الوف كثيرة من الاجزاء الصغار بيعت في المناداة بثلاثة الاف درهم[١]. وفي ضد ذلك حكى يحيى بن عدي ان كتابين من شرح الاسكندر للسماع ولكتاب البرهان « عُرضا عليه بمئة وعشرين دينارًا قال : فمضيت لاحتال في الدنانير ثم عدت فاصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة الاف دينار »[٢].

ومما يحسن ذكره هنا ان ابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧/١١٧١ كان اذا حضر سوق الكتب واراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال انه مقطوع ليأخذه بثمن بخس[٣].

ومن ورّاقي بغداد جامعي الطرائف والنوادر الورّاق المعروف بالطرطوسي اهدى ابا نصر سهل بن المرزبان مجلدة بخط السريّ الرفاء. فاستصحبها ابو نصر وانفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب[٤].

ومن عُرف بالطرائفي الورّاق احمد بن يوسف بن ابي الزهر الحلبي ثم الدمشقي كان له حانوت بباب جيرون مات في ربيع الآخر سنة ٧٥٣[٥] (١٣٥١ م).

ورّاقو الوزراء والعلماء

كان لبعض الوزراء ورجال الدولة والعلماء والمصنفين والاطباء ورّاقون ينتمون اليهم وينسخون ما يُملون عليهم من المؤلفات والمقالات ، ويتولون تحصيل ما يريدونه وتجليد ما يحتاجون اليه من الكتب والاجزاء . وكان ورّاق الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك والفضل بن الربيع احمد بن محمد بن

١) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٧٨ — ١٧٩
٢) الفهرست ٣٥٤
٣) ارشاد الاريب ٤ : ٣٧٨
٤) يتيمة الدهر ١ : ٤٥٠ — ٤٥١
٥) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر ، طبعة حيدر اباد .

ايوب ابا جعفر[١] ؛ ووراق الجاحظ ابا القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ابي حية[٢] . وورّق لابن عبدوس الجهشياري مؤلف تاريخ الوزراء والكتاب احمد بن احمد المعروف بابن اخي الشافعي[٣] . وكان محمد ابن ابي حاتم النحوي وراق البخاري[٤] ؛ وابو محمد ثابت بن ثابت عبد العزيز اللغوي وراق ابي عبيد[٥] . وعدّ ابن النديم اثنين من وراقي المبرد وهما اسمعيل بن احمد بن الزجاجي وابراهيم بن محمد الشاسي[٦] . وروى القفطي ان ابسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي كان يورّق لابن دريد ويأخذ عنه ويعرف بوراق ابن دريد[٧] . وحكى ياقوت انه كان له ايضاً وراق يدعى علي بن احمد الدريدي واليه صارت كتب ابن دريد بعد موته[٨] .

وورّق لداود بن علي بن خلف ابي سليمان الفقيه المعروف بالاصبهاني الحسينُ بن عبدالله بن شاكر ابو علي السمرقندي الورّاق؛[٩] وابو عبدالله الورّاق المعروف بجوار[١٠] . وورّق لابن حنين بن اسحق المتطبب في منقولاته لعلوم الاوائل ابو العباس محمد بن الحسن بن دينار الاحول ، ذكره ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرد[١١] وثعلب . وقد تقدم ذكر وراقي الفراء عرف منهم اثنان وهما سلمة وابو نصر[١٢] .

١) الانساب للسمعاني ٥٧٩ — ٥٨٠ ؛ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٩٣ — ٣٩٦
٢) 〃 〃 ٥٧٩ — ٥٨٠ ؛ 〃 〃 ١١ : ٣٨ — ٣٩
٣) إرشاد الاريب ١ : ٨١
٤) تاريخ بغداد ٢ : ٧ و١٤
٥) بغية الوعاة للسيوطي ٢١٠
٦) الفهرست ٨٩
٧) انباه الرواة ١ : ١٩٦
٨) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٩) تاريخ بغداد ٨ : ٥٨ — ٥٩ و ٢٧٥
١٠) 〃 〃 ٨ : ٢٧٥
١١) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٢
١٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ — ١٥٠

الوراقون مؤلفو الاسمار والخرافات

كان من الورّاقين قوم احترفوا الوراقة تأدباً وتكسباً سبق وصف بعضهم بالعلم والفضل والسبق في حلبتي النثر والنظم . ولكن كان همّ معظمهم ربح الوَرِق اي الدراهم المضروبة . ولذلك اقبلوا على الاتجار بكتب الاسمار والخرافات لشدة رواجها بين الناس ، كإقبال وراقي اليوم على نشر الروايات الخيالية في الغرب «وكانت الاسمار والخرافات مرغوباً بها جداً مشتهاة في ايام الخلفاء العباسيين ولا سيما في ايام المقتدر فصنّف الورّاقون منها وكذبوا وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلّان واسمه احمد بن محمد بن دلان وآخر يعرف بابن عطار وجماعته ومنهم من كان يعمل الخرافات والاسمار على ألسنة الحيوان وغيره وهم سهل بن هرون وعلي بن داود والعتابي واحمد بن طاهر[1]» .

وكان اكثر ما يدخل في احاديث السمر اخبار العشاق والحبائب المتظرفات عدّ ابن النديم طائفة كبيرة منها وذكر ايضاً اسماء عشّاق الانس فيما زعموا المجن وعشاق الجن للانس وسرد كتبهم ، ولكنه اغفل اخبار الفرسان والابطال فلم يشر الى شيء منها ، فهل لم يُعنَ احد في زمانه بجمع اوابدها وشواردها ؟ وقد عني الفرنج انفسهم بنقل اخبار « البطّال » في ايام الحروب الصليبية ؟ ولا يخفى ما في هذه الروايات التاريخية او الخيالية من اللهو والاختلاق والتظرّف والابتداع ، وقد عدمنا بضياعها فوائد جمة من اوصاف الحياة والحضارة والاخلاق الشرقية ، فضلاً عما يتخللها من الاوضاع المولدة والالفاظ الدخيلة في لغة العصور السابقة .

ومن هذه الموضوعات الخيالية بعض الاسفار والرّحل ، وتعداد ما في البلدان النائية من الخوارق والغرائب الموهومة ، وما اشتهر فيها من خصائص الاودية والجبال ، ومزايا النباتات والاشجار ، وما زعموا في المسير اليها من الظلمات في البحار ، وما يتشعب فيها من البحيرات والانهار . وقد اشار المسعودي الى شيء من هذه الخرافات والاقاصيص فقال : زعم عمرو بن بحر

(١) الفهرست ٤٣٨

الجاحظ ان نهر مهران الذي هو نهر السند من النيــل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست ادري كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب في نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا يعرف المسالك وانمـا كان حاطب ليـل ينقل من كتب الوراقين[1].

وللخطباء والكهان نصيب وافر في هذه الاسمار، وقد شهد الجاحظ ان لكلام خالد بن صفوان كتاباً يدور في الوراقين[2].

ولم تقف همة الوراقين والمخرّفين عند هذا الحد من الاستنباط والابتداع، بل عمدوا ايضاً الى النقـل والتعريب، فاستخرجوا طائفـة من كتب الروم والفرس والهنود ذكرها ابن النديم وحكى ان لابن عبدوس، مؤلف كتـاب اخبار الوزراء والكتاب، كتاباً اختار فيه الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفـة في الاسمار والخرافات ما يحلو بنفسه، وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربع مئة ليـلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة واكثر، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر[3]. وقد فاتتنا بفقدان هـذا الكتاب فائدة مقابلته بكتاب الف ليلة وليـلة، وهو نكرة من نكرات التأليف لا يعرف حظ الوراقين في جمعه واسماء من اشترك منهم في تحصيلـه وروايته.

وكانت الامثال تضرب قديماً في مبالغات الوراقين في دسّ ما لا يصدق من الاخبار والنوادر كحكايات السخاء والكرم التي اشتهرت عن البرامكة واجواد العرب، قيل: « حضر ابو العيناء يومـاً مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقـال الوزير لابي العيناء

١) مروج الذهب ١ : ١٢٧
٢) البيان والتبيين، طبعة السندوبي، ٢٣٠
٣) الفهرست ٤٢٣

وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال : قد اكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين فقال له ابو العيناء : فلِمَ لا يكذب الوراقون عليك ايها الوزير[1] ونُقل مثل هذه الحكاية عن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قال وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر في حكايات الاجواد: «انما هذا كذب مختلق من الورّاقين والمؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء والبذل وتبذير الاموال فقال خضير (اشهر مساخر العادل وصاحب البستان المشهور قديماً عند الربوة بدمشق) ياخوند ولاي شيء ما يكذبون عليك»[2].

ويُتَّهم الورّاقون بدسّ بعض الاخبار في الكتب المنسوبة لاهل العلم ومحاكاة رواياتهم فيها ، ومن الكتب التاريخية الادبية المنسوبة لهم من هذا القبيل كتاب الاغاني الكبير المنسوب لاسحق بن ابرهيم الموصلي قال حماد ابنه : وضعه وراق لابي بعد وفاته ... قال ابو الفرج الاصبهاني : اخبرني جحظة انه يعرف الورّاق الذي وضعه وكان يسمى سندي بن علي وحانوته في طاق الزبل وكان يورق لاسحق فاتفق هو وشريك له على وضعه[3].

ويلحق بهذا النمط ما كان يدخله بعض الرواة والعلماء في دواوين الشعراء من الابيات والقصائد الموضوعة التي كانوا يحاكون بها الشعر القديم ويلونها على الوراقين فينسخونها ويذيعونها فتحمل عنهم في الافاق ، كحماد الراوية ، وخلف الاحمر ، وابن الكلبي ممن افسدوا الشعر الجاهلي وزادوا فيه زيادة عالم بلغات العرب واشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فاختلطت اشعار القدماء بحيث لا يكاد يتميز الصحيح منها[4] وقد سبق ان الرواة كانوا بمثابة الوراقين في الخلافة العباسية.

ومشى على هذه الخطة السري الرفاء الموصلي من الشعراء الذين احترفوا

---

١) وفيات الاعيان ، طبعة باريس ، ٧٠٨

٢) نفح الطيب ١ : ٤٦٤ — ٤٦٥

٣) ارشاد الاريب ٢ : ٢٢٤

٤) « « ٤ : ١٧٩ ؛ والاغاني ٥ : ١٧٢

الوراقة لاول عهدهم ، فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان بـه مغرى ويدس في ما كان يكتبه من احسن شعر الخالديين لعداوة كانت بينه وبينها ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويشنع بذلك على الخالديين[1] .

وفي كتب التاريخ والتراجم اشارات الى بعض المخلطين الذين تعمدوا وضع الاحاديث واختلقوا آلافاً منها فاشتبه الزور منها بالصحيح وسارت عنهم بين الناس، وكان منهم بعض الوراقين الذين ألفوا مثل هذا التدليس والاختراع . ونقل عن محمد بن ابي العوجاء انه « لما امر المنصور بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع اربعة الآف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ويصوم الناس يوم الفطر ويفطرهم في ايام الصيام[2] .

مذاهب الوراقين

لا نعلم الا قليلاً من مذاهب الوراقين ومـا ينتسبون اليه من الآراء والفرق في الـدين والسياسة بين سنة وشيعـة وزيدية وخوارج ومتكلمين وشعوبية ، ومن اهزل ما وقفنا عليه من اخبار الشيعة ما رواه ابن الجوزي قال :

« سنة ٣٧٧ / (٩٨٧ م) توفي علي بن محمد بن نصير بن عرفة ابو الحسن الثقفي الوراق ويعرف بابن لولو ولد سنة ٢٨١ قال التنوخي : حضرت عند ابي الحسن بن لولو مع ابي الحسن البيضاوي لنقرأ عليه وكان قد ذكر له عـدد من يحضر السماع ودفعنا اليه دراهم كنا قد وافقناه عليها فرأى في جملتنـا واحداً زائداً على العدد الذي ذكر له فامر باخراجه فجلس الرجل في الدهليز وجعل البيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليسمع الرجل فقال له ابن لولو يا ابا الحسين أتعاطي علي ؟ وانا بغدادي باب طاقي صاحب حديث شيعي ازرق كوسج ؟ ثم امر جارية ان تدق في الهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيضاوي بالقراءة الى الرجل »[3] .

---

١) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٧
٢) البداية والنهاية لابن كثير ١ : ١١٣
٣) المنتظم ٧ : ١٤٠

وكان عقدة والد ابي العباس زيدياً يورق بالكوفة ويعلم القرآن والادب وانما سمي عقدة لاجل تعقيده في الصرف وكان ورّاقاً جيد الخط .. واراد ابنه ابو العباس ان ينتقل من الموضع الذي كان فيه الى موضع آخر ، فاستأجر من يحمل كتبه وشارط الحمالين ان يدفع لكل واحد منهم دانقاً لكل كرّة فوزن لهم اجورهم مئة درهم وكانت كتبه ست مئة حمل[١] .

ومن الخوارج مظر الوراق ، روى البلاذري انه كان مع العباس بن محمد ابن علي في غزاة كمخ[٢]، وفي تاريخ الموصل لابي زكريا بن اياس الازدي ان في سنة ١٤٥ (٧٦٢ م) « اتى سعيد بن دعلج الخليفة المنصور بمطر الورّاق وبشير الدجال فقال المنصور لمطر : يا مطر نسيت الحرمة وطول الصحبة ؟ قال : نسيناهما بنسيانك كتاب الله وسنة رسوله وتضييعك امور المسلمين قال : فتخرج علي مع من لم تؤنس منه رشداً ؟ فهذا خلاف مذهبك قال : لو خرج عليك الذرّ فانه اضعف الخلق لخرجت معهم حتى اؤدي ما افترض الله عليّ فيك قال : يا ابن حسنة الزانية قال : انك تعلم انها خير من سلامة (ام المنصور) ولولا انه قبيح بذي الشيبة السفه لأعلمتك ما تكره ولا تطيق ردّه قال : خذوه قال : ان بعد موقفك هذا موقفاً وان بعد اخذتك هذه اخذة فانظر لمن تكون العاقبة . قال فجزع المنصور من قوله جزعاً شديداً ظهر فيه ثم قتله »[٣] .

وذكر المسعودي بين المتكلمين من فرق الاسلام الذين صنفوا كتباً في المقالات وغيرها من الردّ على المخالفين ابا عيسى محمد بن هرون الورّاق[٤] . وقال انه نقض كتاب الجاحظ المعروف بكتاب العثمانية[٥]، ونقل قولاً لعمر بن عبيد في الامامة وقال : « هذا الذي حكيناه ذكره ابو عيسى محمد بن هرون الوراق

١) فتوح البلدان ، طبعة اروبة ، ١ : ١٨٥
٢) تاريخ بغداد ٥ : ١٨
٣) تاريخ الموصل ، رقم ٢٤٧٥ ، دار الكتب المصرية ، مجلد مصور فيه الجزء الثاني ص ١٦٦
٤) التنبيه والاشراف ٢٩٥ - ٢١٦
٥) مروج الذهب ٨ : ٨

ببغداد في كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة ابي عيسى بالرملة سنة سبع واربعين ومئتين (٨٦١م) وله تصنيفات كثيرة منها كتابه في المقالات في الامامة »[1] وفي تاريخ ابن كثير « كان ابو عيسى الورّاق مصاحباً لابن الراوندي قبحهما الله فلما علم الناس بامرهما طلب السلطان ابا عيسى فأودع السجن حتى مات »[2].

ومن الشعوبيّين علّان بن حسن الورّاق واصله من الفرس وكان شاعرًا متعصباً للفرس «راوية عارفاً بالانساب والمثالب والمنافرات منقطعاً الى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة عمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها »[3] وبدأ منها بمثالب قريش ، ولما عمل عبدالله بن طاهر قصيدته التي فخر فيها بقومه وبقتل ابيه طاهر بن الحسين الخليفة الامين وعارضه فيها محمد بن يزيد الحصني الاموي ، وردّ عليها اقبح ردّ ، انتصر علّان لعبدالله بن طاهر وعارض الحصني[4] ، واظهر قصيدته وكتابه في مثالب العرب ، واذاعهما في مجالس بغداد دون اقلّ تهيب او تقيّة . ومثل هذه الجرأة من الشعوبيين على شتم العرب وانتقاص قريش بمسمع من قصر الخلافة ومنازل الهاشميين والطالبيين هي غريبة من غوامض ذلك العصر العباسي الذي عرفنا منه شيئاً وغابت عنا اشياء .

وكان لعلّان دكان في بغداد ، بجوار باب الشام ، يبيع فيه الكتب وينسخ وفيه فتى يعرف بالفيذزان يورق ايضاً . ومما يدل على سريرة علان وسلاطة قلمه ولسانه انه وصف لاحمد بن ابي خالد الاحول الذي تولى الوزارة للمأمون « فامر باحضاره وبان يستكتب له فاقام في داره فدخلها احمد بن خالد يوماً فقام له جميع من فيها غير علان الوراق فانه لم يقم له فقال احمد ما اسوأ ادب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب انا الى سوء الادب ومني يُتعلم الاداب وانا معدنها ولِمَ اردت مني القيام لك ولم آتك مستميحاً لك ولا راغباً اليك ولا

١) مروج الذهب ٩ : ١٣٦

٢) البداية النهاية ١١ : ١١٣

٣) الفهرست ١٥٣ — ١٥٤

٤) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ — ٦٨

طالباً منك وانما رغبت اليّ في ان آتيك فاكتب عندك فجئتك لحاجتي الى ما آخذه من الاجرة وقد كنتُ بغير هذا اولى منك ثم حلف ايماناً مؤكدة الا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل احد من خلق الله تعالى»[1].

وفي مثل هذا الجواب الوقاح من علان انتقام لابي حيان التوحيدي من ازدراء الصاحب بن عباد بالوراقين وادّعائه انهم اخسّ من ان يقوموا لذوي الاقدار كما سبق لنا حكايته.

وكان الخلفاء والحكام يحرّمون احياناً تداول بعض المصنفات التي يخشون فتنتها او سوء اثرها في الدين وفي سنة ٨٩٢/٢٧٩ «حُلِّف الورّاقون ان لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة»[2] ولما قتل الحلاج «احضر الوراقون وأحلفوا ان لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ولا يشتروها»[3].

سوق الوراقين

كانت سوق الوراقين في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء»[4]. ومن الشقاء ان لا يكون حفظ لنا وصف مما كان يجري فيها من المناظرات والمحاضرات، ويُتبادل فيها من اطايب الاحاديث والاشعار وطرائف الاقوال والافكار. وكان الجاحظ يكتري حوانيت الوراقين ويثبت فيها للنظر[5]، وقد تقدم ان دكان سعد الوراق في الرها كانت مجلس كل اديب يغشاها طلاب النصارى ويتردد اليها شعراء الشام ايضاً وديار مصر[6].

والى هذه السوق كان يتوجه كل راغب في نفائس الكتب ونوادر الاخبار، ولذلك اتهم محمد النوبختي ابا الفرج الاصبهاني مؤلف الاغاني بانه «اكذب الناس كان

١) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ – ٦٨
٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٠
٣) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٨٣؛ والمنتظم لابن الجوزي ٥ : ١٤٣
٤) مناقب بغداد لابن الجوزي ٢٦
٥) الفهرست ١٦٩
٦) ارشاد الاريب ٢ : ٢٧٨

يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيراً من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون كل رواياته منها »[1]. ولا يخفى ما في هذا القول من الحسد وقلة الانصاف.

وكان المتنبي يكثر زيارة سوق الوراقين ومطالعة ما يقع فيها من احاسن المؤلفات ؛ اخبر وراق كان يجلس اليه قال : «ما رأيت احفظ من هذا الفتى ابن عبدان (المتنبي) كان اليوم عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه فاخذ ينظر فيه طويلاً فقال الرجل : ياهذا اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه من هذه المدة فبعيد . فقال ان كنت حفظته فما لي عليك ؟ قال أهب لك الكتاب قال الوراق فاخذت الدفتر من يده فاقبل يتلوه الى آخره ثم استلبه فجعله في كمه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال : ما الى ذلك سبيل قد وهبته لي فمنعناه منه وقلنا له انت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه »[2].

وهذه الحكاية ، على غرابتها ، ليست الا بعضاً مما روي من عجائب الحفظ والذاكرة ، ولا تخلو من المبالغة التي لا تكاد تتبرأ منها رواية في الشرق .

ولمثل هذه الفوائد التي كانت تجتنى من الجلوس في حوانيت الوراقين وشهود مناداة الدلالين قال المهلب لبنيه : يابنيّ لا يقعدنّ احد منكم في السوق فان كنتم لا بد فاعلين فالى زرّاد او سرّاج او ورّاق[3].

١) تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٩
٢) تاريخ بغداد ٤ : ١٠٣
٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١٢٩

الفهرست

H. ZAYAT

LA LIBRAIRIE ET LES LIBRAIRES EN ISLAM

Extrait de la Revue Al-Machreq
Juillet-Septembre 1947



IMPRIMERIE CATHOLIQUE
BEYROUTH
1947